العائلة والزوجة

لمحمد افندي السباعي محرر البيان ومعرب كتاب الابطال عن كارليل وصاحب الصور

ان اكبر دواعي الاضطراب الذي يعرو العائلات هو كثرة الخلاف بين الزوجين فاذا استقرينا مناشيء الخلاف وجدنا اغلبها تافهاً لا يدعو الى النزاع لولا امر واحد — هو موضوع كلامنا اليوم — وذلك تشدد الزوجة وصلابة جانبها ومحاسبتها الزوج على كل كبيرة وصغيرة . ولو تسامحت الزوجات في كثير من المسائل وتغاضت وارخت للازواج الاعنة للان من عيشهم ما صعب واتسع من امرهم ما ضاق

لقد كتب على المرأة الخضوع للرجل والانقياد لحكمه ولحكم الرأي العام والنواميس الادبية والاعتبارات الاجتماعية . سنة الله التي ليس للمرأة عنها محيد الا الى ما هو اضر واقسى . لذلك كان أهم الواجبات على اولياء الامور ان يغرسوا في طباع البنات فضيلة الطاعة ولين العريكة وضبط النفس بردعهن عن التمادي فيما يشتهين من الالعاب والملاهي فان الاسترسال في الشهوات هو اسرع الوسائل الى الطيش والنزق وكثرة التلون والتقلب المفضية الى الغرور والعناد والطغيان التي اسلفنا انها اكبر مصادر الشقاق العائلي

فما اخلق اولياء الامور بان يعترضوا في اغلب الاحيان ملاذ البنات بدواعي الجد حتى لا تمر عليهن لحظة واحدة ينسين فيها انهن مغلولات بجملة قيود . فيكن في منتهى اللهو واللعب اعلم بواقع امورهن واذكر لحقيقة حالهن واحرى ان يسرعن بالاجابة اذا اهاب بهن في حومة الملاهي صوت المصلحة الكبرى ولا تعدم هذه التربية الشديدة ثمارها من فضائل الطاعة واللين والانقياد التي هي اهم صفات المرأة

قال روسو « لما قضى على المرأة الخضوع للنوع الانساني مع ماله من الخبائث

والسيئات والاغلاط والسقطات وجب ان تعوّد المرأة احتمال الجور ومظالم الزوج بصبر وصمت · فليس في الخشونة والصلابة الا ما يزيد معاملة الازواج سوءاً وظلماً · اذ يرون ان زوجاتهم ما كنّ ليغلبنهم بتلك السواعد البضة الرخصة ذات الحلى الرنانة · وان الله سبحانه وتعالى لم يمنحهن هذه الخلابة وحسن التلطف ليكنّ ذوات شكاسة وشراسة ولم يخلقهن ضعيفات ليكن ذوات سلطة وكبرياء. ولم يرقق من اصواتهن ليستعملنها في المخاشنة والمغالظة ولم يلين من محاسنهن ويبالغ في ملاحتها ليشوهنها بالعبوس والتقطيب على ان هذه ليست الاسلحة التي اراد الله ان تغلب بها المرأة زوجها بل في لين الانثى ورقتها ما يقهر الرجل ويصلحه الا ان يكون وحشاً ضارياً · » انتهى كلام روسو

هذا الميل للسلطة الذي نراه في النساء احق بان يحارب بما انه اشد الاميال تأثيراً في اذهانهن · وقد جاء في اساطير الاولين ما يدل على تغلب هذا الميل حتى على ميلهن الى التباهي بالجمال والادلال بالملاحة · وذلك انه في احدى الولايات اليونانية القديمة بلغ من استياء النساء لعدم بلوغهن ما ينبغين من السلطة على ازواجهن انهن ائتمرن جميعاً لابتغاء وسيلة يبلغن بها حاجتهن المنشودة ففاجأن الازواج وهم سكارى قد صرعتهم الكاس فشددن وثاقهم ثم اخذن يعملن فكرة في استنباط ابرع الحيلة لبلوغ غايتهن وبعد طويل المداولة اجمع رأيهن على سلب ابصار اولئك الازواج مضحيات في سبيل الحرية والسلطان تلك اللذة التي كن يكتسبنها من التفاخر بالحسن والجمال وقد هان عليهن فقدها كان يبذل لهنّ من زفرات الوجد مع فقد اوامر السيطرة والقهر قائلات « لا اسف على ذهاب حب يذهب بالذل والصغار »

وقد يرى بعض النساء من ذوات الحيلة والذكاء ان يحفظن سلطة النفس

مع الازواج بتزوج رجل احمق ضعيف العقل ليسهل عَلَى احداهن قياده. وما اظن شعور امثال هؤلاء النساء الا اقسى من شعور اللاتي يبقين مع العميان بمقدار فضل عين العقل عَلى عين الجسم

واذا كان هذا ولوع النساء بالسلطة فان سبب ذلك ارجع الى الرجال منه الى النساء . ولو عامل الرجال ازواجهن بالحسنى لما وجدن سبيلاً الى ذلك الحرص الشديد عَلَى السلطة . وقد علّمنا التاريخ ان العصيان نتيجة الاستبداد. وان العصاة اذا تغلبوا اوشكوا ان يكونوا مستبدين ايضاً . فما اجدر الازواج والزوجات ان يسلكوا معاً طريق المساواة والملاطفة . وهذه الكلمة لافلاطون تؤيد ذلك

قال ذلك الفيلسوف متخيلاً لم يكن النوع البشري باديءَ بدء منقسماً كما نبصره الآن الى ذكور واناث . بل كان كل فرد مزيجاً مركباً من عنصري التذكير والتأنيث فكان يجمع في ذاته الزوج والزوجة عَلَى اكمل ما يرام من الاتحاد والالتئام . وقد بلغ بفضل هذا النظام المحكم من هناء الانسان وسعادته انه شرع يبطر عَلَى الآلهة ويعصاهم . فلم يرَ كبير الآلهة عقاباً اشد واتكل من تطليق بعض الانسان من بعضه الاخر وتحويله بذلك الى مخلوق آخر انقص منه في حالته الاولى . وهذا منشأ اختلاف الجنسين ولكن الانسان ما برح بعد هذا التفريق يذكر نعيمه الاول ويحن الى عهده السالف فهو في قلق دائم لا يقر قراره او يعود الى شطره المفصول وجزئه المعزول . فاذا قدر الله اجتماع الشتيتين وانضمام الشريدين امتزجا باشد ما يكون من الحب والالفة . ولكن الغالب ان لا يقع ذلك الاتفاق المهنيّ . فلا يصيب الانسان جزأه التائه بل يقع عَلَى ما هو غريب عنه فيحدث خلاف وتنافر وينحل العقد فينطلق كل جزء ليبحث عن

شطره الحقيقي فيمتزج بكل من لاقاه عَلَى سبيل التجربة وهو في ذلك لا يجد راحة ولا هناء او يصادف عنصره واصله

اما الزوجة فانها الملجأ الناعم · والملاذ اللين · هي الكهف الحلو كانه خلية العسل · هي حصن من البلور في ضيافة الشرف · وقلعة من الحرير في خفارة العفاف · هي الساحل المتين الذي يأوي اليه ملاّح الحياة بعد صولة الموج وثورة الهواء · هي الظل الخصيب الذي يلبسه سائح الانسانية بعد وعثاء السفر ولظى الهجائر

في حلاوة الزوجة ورقتها ما يمحو مرارة الزمن وخشونته وكذلك الحسنات يذهبن السيئات ان الزوجة لتبث حولها هواء من السرور لا تكاد تطرقه الاحزان كانه هالة القمر او دارة الشمس · وان الهموم لتضمحل في صوت الزوجة كالخوف امام البشر — اذا كانت الموسيقى فتنة الالباب فقل في الفتنة صوت المرأة الذي يفتن الموسيقى لو انها تعقل

المرأة تحفة الدنيا · وزينة الحياة · فمن احكم تدبيرها وجنى ثمرها كان اميراً عَلَى اكرم بقعة واجمل مملكة · ومن اساء التدبير فخسر المرأة او حبها وطاعتها فجدير ان يتمثل

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

المرأة هي المرآة التي تمثل مناقب الزوج حتى يرى فيها نفسه · هي المجرى المنسجم الذي ينقل مكارم الاب ووصاياه الى النسل مع ما للام نفسها من المحامد والسجايا

اذا بنيت مخالطة الزوجين على الحب والاجلال أصبح لا همّ لاحدهما الا الظهور امام الاخر كاكمل ما يكون الانسان فلا تبرح اخلاقهما في ارتقاء كالجسمين الخشنين ينعمهما الاحتكاك فيملسا